



تقييم حالة

جيرمي كورين "صديق فلسطين" زعيمًا لحزب العمال البريطاني:

الطريق الملعّنة نحو القمّة

أديب زيادة | ديسمبر 2015

جيرمي كوربن "صديق فلسطين" زعيمًا لحزب العمال البريطاني: الطريق الملغمة نحو القمة

سلسلة: تقييم حالة

وحدة تحليل السياسات في المركز العربي | يناير 2016

جميع الحقوق محفوظة للمركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات © 2016

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات مؤسسة بحثية عربية للعلوم الاجتماعية والعلوم الاجتماعية التطبيقية والتاريخ الإقليمي والقضايا الجيوستراتيجية. وإضافة إلى كونه مركز أبحاث فهو يولي اهتمامًا لدراسة السياسات ونقدها وتقديم البدائل، سواء كانت سياسات عربية أو سياسات دولية تجاه المنطقة العربية، وسواء كانت سياسات حكومية، أو سياسات مؤسسات وأحزاب وهيئات.

يعالج المركز قضايا المجتمعات والدول العربية بأدوات العلوم الاجتماعية والاقتصادية والتاريخية، وبمقاربات ومنهجيات تكاملية عابرة للتخصصات. وينطلق من افتراض وجود أمن قوميّ وإنسانيّ عربيّ، ومن وجود سمات ومصالح مشتركة، وإمكانية تطوير اقتصاد عربيّ، ويعمل على صوغ هذه الخطط وتحقيقها، كما يطرحها كبرامج وخطط من خلال عمله البحثي ومجمل إنتاجه.

المركز العربيّ للأبحاث ودراسة السياسات

شارع رقم: 826 - منطقة 66

الدفنة

ص.ب: 10277

الدوحة، قطر

هاتف: +974 44199777 | فاكس: +974 44831651

www.dohainstitute.org

ملخص تنفيذي

تكشف هذه الورقة النقاب عن طبيعة المستجد الذي طرأ على حزب العمال البريطاني المعارض، متمثلاً بفوز الناشط اليساري المعروف بأنه "صديق فلسطين" جيرمي كورين برئاسة الحزب في 12 أيلول/ سبتمبر 2015، والانعكاس المتوقع لهذا الفوز على حضور القضية الفلسطينية.

بعد تقديم موجز لشخصية كورين وأيدولوجيتها وحزبها، تطرقت الورقة إلى هزيمة الحزب في الانتخابات العامة التي جرت في أيار/ مايو 2015، وما جلبته إليه وإلى أعضائه ومناصريه من شعور بالمرارة والألم أفرز في المقابل شعوراً متتامياً بضرورة التغيير. وفي هذا السياق جرى استعراض مواقفه من قضايا الداخل والخارج؛ إذ أُفرد حديث خاص عن علاقته بفلسطين. كما ناقشت الورقة محددات النجاح شرطاً من شروط ديمومة الزعيم الجديد في "قمة" القيادة، والانعكاسات المتوقعة لهذا النجاح على القضية الفلسطينية. وجرى التعرّيج كذلك على إمكانات إطاحته أو الانقلاب عليه من جهة خصومه المعروفين في أروقة السياسة البريطانية بخصومتهم لفلسطين أيضاً.

- 1 تمهيد
- 2 هزيمة أيار/ مايو 2005.. الصفحة التي مازال صداها يتردد
- 5 مواقف كورين من قضايا الداخل والخارج
- 6 كورين والانتصار لفلسطين
- 8 مآتم سياسية في إثر انتخاب القيادة الجديدة
- 9 محددات النجاح
- 12 الفرصة أو الانقلاب؟
- 13 انعكاسات فوز كورين على القضية الفلسطينية
- 14 خلاصة

تمهيد

لم تكن صدمة مجموعة "أصدقاء إسرائيل" في حزب العمال البريطاني عاديةً حين لم يأتِ كوربن على ذكر كلمة إسرائيل طوال خطابه، في لقاء خاص دعت إليه المجموعة على هامش مؤتمر الحزب الذي عُقد في مدينة برايتون خلال الفترة 27 - 30 أيلول/سبتمبر 2015. وفي المقابل كانت الدهشة كبيرةً حين أتى على ذكر فلسطين وحقوق شعبها، وضرورة رفع الحصار عن غزة والاعتراف بالدولة الفلسطينية، وهو ما جعل أحد الجالسين يأخذ في الصراخ، داعياً إيّاه إلى التلقّظ باسم دولة إسرائيل ولو على سبيل الذكر فقط. ومن ثمّة، شكّلت هذه المفارقة نذيراً لبداية حقبة صعبة سيعيشها اللوبي الصهيوني مع حزب العمال في ظلّ قيادته الجديدة¹.

لقد مرّ اثنان وثلاثون عاماً على وجود كوربن في المعتزك السياسي البريطاني نائباً في مجلس العموم منذ عام 1983. وقد عُرف بمواقفه اليسارية المتأثرة إلى حدّ كبير بالماركسية اللينينية التي تلتقي، على نحوٍ أو آخر، اشتراكية حزب العمال البريطاني وبرامجه الاجتماعية، وتشكّل خلفيةً أيديولوجيةً نظريةً لها، وإن كانت بتفسيرات خاصة. والسمة الأساسية التي لازمتها هي تغريده لفلسطين وغيرها من مناطق الصراع حول العالم خارج سرب حزب العمال الذي حطّم سياساته الفوارق بين المنهج الاشتراكي الذي اعتمده الحزب يوماً ما والروح الإمبريالية الرأسمالية التي تتلاشى فيها حدود الأخلاق والقيم في كثير من الأحيان. إلّا أنّ الأمل كان يحدوه، على غرار العديد من أمثاله، إلى أن تتاح فرصةً يوماً لتصحيح مسار الحزب الذي انحرف انحرافاً لافتاً، ولا سيما في ظلّ رئاسة توني بلير له.

في هذا السياق، كانت مواقف الرئيس الجديد لحزب العمال معارضةً بشراصةً للحرب البريطانية - الأميركية على العراق عام 2003، ولما تبعها من سياسات ومواقف اتسمت بالخروج الفجّ على الشرعية الدولية الناظمة لقوانين الحرب². وفي هذه الأجواء، أمكن التمييز بين اليسار الصلب Hard left والآخر الناعم Soft left

¹ Marcus Dysch, "Jeremy Corbyn heckled after Labour Friends of Israel speech," *The Jewish Chronicle Online*, 30/9/2015, at: <http://bit.ly/1OPCbBk>

² "Biography of Jermy Corbyn in 60 Seconds," *The Telegraph*, at: <http://bit.ly/1lv3bta>

في ما يتعلق بمنهج الحزب وأيدولوجيته. فاليسار الصلب الذي يمثل كورين أحد أعمدته الرئيسية في الحزب كان يميل إلى المبدئية الاشتراكية في التعامل مع الداخل والخارج، في حين تداعت لدى اليسار الناعم كل المبادئ التي نشأ عليها الحزب، ولم تُعد سياساته بالنسبة إلى المواطن البريطاني العادي أو المراقبين من الخارج مختلفةً إلى حدّ كبير عن نظيراتها لدى حزب المحافظين.

هزيمة أيار/ مايو 2005.. الصفحة التي مازال صداها يتردد

كانت الهزيمة الانتخابية التي لحقت بحزب العمال أمام حزب المحافظين في انتخابات مجلس العموم البريطاني في أيار/ مايو 2015 شنيعةً، إلى حدّ أنه لم يكن في الإمكان الخروج من المأزق إلا برجة سياسية تختلف عمّا يكون بالحسبان. وكانت حالة الذهول التي سيطرت على الحزب وشدة النفور لدى الشارع البريطاني من سياساته وزعاماته التقليدية قد دفعت زعيمه السابق ميليباند إلى القفز فوراً من "قمة" قيادة الحزب، مُرجعاً الأمر مرّةً أخرى إلى أعضاء الحزب كي يقرروا نوعية "القبطان" الذي سيتولى إعادة ترميم ما حطمته زعامات سابقة، لأمثال بلير وبراون، من قيم ومبادئ وسياسات "تقدمية" افتقدها الجمهور³. وإزاء هذه الصفحة الناتجة من هامش الهزيمة التي بلغت نحو المئة مقعد مقارنةً بالمحافظين، كان هنالك إحجام واضح عن الترشح لقيادة الحزب من شخصيات كارزمية قد يشكّل وجودها في هذا الموقع رافعةً لما تهذّم؛ وهو ما جعل ثلاثة مرشّحين يقدمون أنفسهم لهذه المهمة من دون أن يتوافر في أيّ واحد منهم ما هو مُقتنع شعبياً لانتخابه.

رابع هؤلاء كان كورين الذي تقدم لترشيح نفسه بعد أن استطاع بـ "شقّ الأنفس" (قبل دقيقتين من موعد إغلاق باب الترشح فقط) اجتياز عتبة التأييد اللازمة التي تبلغ 15% من نواب الحزب في مجلس العموم؛ أي 35 نائباً⁴. ومن هؤلاء النواب من وقّعوا طلبه للترشح رغبةً في تجميل المشهد الانتخابي داخل الحزب فقط، وقد كانوا على

³ بشأن هزيمة حزب العمال وما جرى في انتخابات أيار/ مايو 2015، انظر: أديب زيادة، "الديمقراطية البريطانية خلفيات وتحديات ومخاطر... قراءة في انتخابات مجلس العموم 2015"، مجلة دراسات شرق أوسطية، العدد 72 (صيف 2015).

⁴ "Labour leadership: Jeremy Corbyn enters race," *BBC News*, 3/6/2015, at: <http://bbc.in/1KEYtoL>;

"Labour leadership: Jeremy Corbyn completes the line-up," *BBC News*, 15/7/2015, at: <http://bbc.in/1Hlpxok>

قناعة أنّ هذا المرشّح المقبل من المقاعد الخلفية في حزب العمال لن تكون له البتة حظوظ في الفوز. ولو أنهم علموا أنّ لديه مثل تلك الحظوظ ما أقدموا على ترشيحه، كما أشار إلى ذلك كورين نفسه في خطاب الفوز الذي ألقاه في عقب الإعلان عن نجاحه في الانتخابات الداخلية للحزب، وقد شارك فيها ما يزيد على النصف مليون عضو⁵. بعض أولئك النواب وصفوا أنفسهم لاحقاً بالأغبياء بسبب قيامهم بتأييد ترشيح كورين عادّين ذلك خطأً جسيماً وقعوا فيه⁶. وسرعان ما تحوّل هذا المكافح السنيّ ذو الخبرة العميقة في السياسة إلى النجم اللامع بين منافسيه؛ أو بمعنى آخر إلى حكيم الحزب الذي يملك بحكمته ومبدئيته وأخلاقيته المعروفة القدرة على إعادة بناء ما تردّى عبر سياسات طائشة أودت بالحزب بعيداً من سدّة الحكم.

بدأت استطلاعات الرأي تثبت يوماً إثر آخر ألمعية هذا "الزعيم" المقبل من المقاعد الخلفية في مجلس العموم إلى قمة الحزب بسرعة أخفق خلالها كلّ المحلّلين في التنبؤ بها أو تصوّرها، وهو في ذلك متقدّم على كلّ منافسيه بفارق كبير⁷. وأدّى هذا التقدم إلى ظهور جناح "بليز - براون" بشدّة لمواجهة القوة الكاسحة التي يتقدم بها كورين، وهو ما دعا هذا الجناح في عدّة مناسبات إلى التحذير من مغبّة انتخابه بوصفه بمنزلة "الوصفة الأكيدة لتدمير الحزب وجعله خارج الحكم نهائياً، فضلاً عن أنه سيؤدي بالحزب إلى سلسلة من الكوارث والهزائم⁸. وقد رأى رئيساً الوزراء السابقان لحزب العمال في كورين شخصاً يسارياً متطرفاً لا تصلح أفكاره ورؤاه لقيادة بريطانيا نحو المستقبل وبناء شراكات

⁵ "Jeremy Corbyn wins Labour leadership race in stunning victory – as it happened," 14/ 9/ 2015, at: <http://bit.ly/1EU0Fe5>

⁶ "Margaret Beckett: I was moron to nominate Jeremy Corbyn," *BBC News*, 22/7/2015, at: <http://bbc.in/1NGpwCN>

⁷ "Jeremy Corbyn is most popular among voters from all parties, poll suggests," *The Guardian*, 15/8/2015, at: <http://bit.ly/1KIUoUU>

⁸ Ben Riley-Smith, "Labour faces 'annihilation' under Jeremy Corbyn, Tony Blair warns in dramatic late intervention," *The Telegraph*, 15/8/2015, at: <http://bit.ly/1JUtBD8>;

"Labour could face FOUR election defeats: Blair warns of disaster if party lurches to the left under leadership frontrunner Corbyn," *Mail online*, 23/7/2015, at:

<http://www.dailymail.co.uk/news/article-3170460/Don-t-Blair-issues-stark-warning-Labour-old-fashioned-left-wing-policies-lead-defeat.html#ixzz3mVwbHyYH>

مع قوى "التقدم والتحضّر" الغربية. رأى براون أن رجلًا يتصور شراكةً مع "حماس" و"حزب الله" وأمثالهما أولى بالشراكة من حلفاء بريطانيا التقليديين، لا يمكن أن يضمن لها مكانةً في المستقبل⁹.

لكنّ خبرة الناخبين بجناح اليمين (بليز - براون) داخل الحزب اليساري محمّلةٌ بأكوام من الذكريات السيئة التي دفعت الحزب إلى هامش السياسة البريطانية منذ عام 2010، وهو ما أدّى دورًا عكسيًا ورفع شعبية كورين بدلًا من تداعيتها كما أرادوا. وهكذا تحولت الشخصية التي دخلت المنافسة، على نحو أشبه ما يكون بالتسلّل، إلى شخصية كاريزمية تحظى باحترام قطاعات كبيرة من ناخبي حزب العمال الذين صوتوا له بأكبر تفويض في التاريخ السياسي للحزب بنسبة 59.5%، متجاوزًا النسبة التي فاز بها بليز عام 1994، والتي بلغت في ذلك الوقت 57%¹⁰. وهي رسالة حملت في طياتها معاني كثيرة أبرزها سأم طبيعة الإدارة السياسية التي تتحكم في مقاليد الحكم والسياسة، والتي اتسمت بالمراوغة داخليًا، وبالالأخلاقية خارجيًا.

جاء تفوق كورين الكبير على المرشّحين الثلاثة الآخرين مجتمعين في السياق نفسه الذي فاز فيه حزب "سيريزا" اليوناني و"بوديموس" الإسباني، ليشكل صوتًا مبدئيًا مغايرًا لما اعتاده السياسيون من قبل، مُنهيًا بهذا الفوز المرحلة التي أُطلق عليها اسم "البليزية" Blairism؛ نسبةً إلى توني بليز الذي لم تحصل مرشّحته المنافسة لكورين إلّا على 4.5% من أصوات الناخبين في الحزب.

لم يسلم كورين في خضم الحملة الانتخابية، بطبيعة الحال، من هجوم اليمين البريطاني والصهيوني في آنٍ واحدٍ؛ إذ جرى النّيش في دفاثره من جهة الإعلام اليميني المناهض له ولمواقفه المعلنة على مدار مسيرته السياسية. فقد حدّر ديفيد كاميرون، رئيس الحكومة وزعيم حزب المحافظين، من انتخاب كورين عادًا الحزب بزعامته خطرًا على الأمن القومي البريطاني¹¹. كما لاحقته القنوات التلفزيونية والصحف التي يملكها رجل الإعلام والأعمال اليهودي

⁹ "Gordon Brown issues coded warning against dangers of a Jeremy Corbyn victory in Labour leadership contest," *EveningStandard*, 16/8/2015, at: <http://bit.ly/1J923eX>

¹⁰ "Jeremy Corbyn just won a bigger landslide victory than Tony Blair did in 1994's Labour leadership election," *Independent*, 12/9/2015, at: <http://ind.pn/1OejJpR>

¹¹ Ian Salvera, "Labour leadership: David Cameron warns of 'financial threat' as Jeremy Corbyn nears victory," *International Business Times*, 11/9/2015, at: <http://bit.ly/1ijFDLW>

المعروف مردوخ، مُحَرَّضَةً عليه، عادةً إياه شخصيةً غير صالحة لقيادة حزب العمال، فضلاً عن إمكان قيادته لرئاسة الوزراء عام 2020. غير أن كل تلك الحملات المُنَهَجَة لم تتمكن من الحؤول دون وضع الناخب العمالي تقته بكورين الذي عبّر عن نفسه وتصوراته وبرامجه تعبيراً يُعيد التذكير بالمبادئ الاشتراكية المؤسسة للحزب المتناغمة مع تطلعات شريحة واسعة من الشعب البريطاني، فضلاً عن الحزب نفسه.

مواقف كورين من قضايا الداخل والخارج

يقف كورين، على الصعيد الداخلي، ضد سياسات التقشف الحكومية بلا موارد، ويرى أنها موجّهة ضدّ الفقراء من الشعب. لذا، فإنّه لا يتوانى في الوعد بفرض المزيد من الضرائب على الأغنياء والشركات الكبرى كنوعٍ من إعادة توزيع الثروة توزيعاً عادلاً بين طبقات الشعب. كما أنه يعتمد فكرة إلغاء رسوم التعليم الجامعية ومسألة تأميم خطوط سكك الحديد، ويرى أنها للشعب ويجب أن تعود إليه؛ على غرار بعض الصناعات الكبرى في الدولة التي يجب أن تكون ملكاً لها، مقدّماً أمثلةً دالةً على قدرته على حلّ العجز في الميزانيات ومشكلة المديونيات والتعليم والصحة، بعيداً من مكابدة الفقراء نتائج سياسات حكومية تقشفية يراها ظالمة¹². علاوةً على ذلك، يرى كورين أنّ السلاح النووي البريطاني لا حاجة إليه، ومن ثمّة لا بدّ أن تصل الدولة إلى حالة يجري فيها تفكيك هذا السلاح والاستغناء عنه؛ من أجل الأمن والسلم الدوليين وتقليل النفقات في التسلح. وفي ما يتعلق بموقفه من الإسلاموفوبيا، فهو من المكافحين الأشداء ضدّ كلّ أنواع التمييز على أساس الدين أو العرق، وهو في الوقت نفسه يرفض سياسات حكومة المحافظين المتعلقة بمكافحة "الرايكانية والتطرف".

أمّا على الصعيد الخارجي، فإنّ مواقفه لا تقلّ مبدئيةً عن ذلك؛ فهو مقاتل شرس ضدّ غزو العراق وأفغانستان عام 2003؛ إذ تزعم في الأعوام الأربعة الأخيرة حركة (Coalition SWC Stop The War) التي أُسّست في عقب الغزو¹³، رافضاً كلّ أنواع التدخل العسكري في الخارج، عاداً إياه سبباً لِمَا نشاهده من دمار

¹² "Jeremy Corbyn to announce rail nationalisation plan," *The Guardian*, 20/9/2015, at: <http://www.theguardian.com/politics/2015/sep/20/jeremy-corbyn-rail-nationalisation-policy-labour-conference>

¹³ للاطلاع على مواقف كورين، انظر: <http://www.stopwar.org.uk/news/jeremy-corbyn-mp>

في الشرق الأوسط. وأما موقفه من الانقلاب العسكري في مصر، فلا لبس فيه أيضًا؛ ذلك أنه يرى أنّ محمد مرسي هو الرئيس الشرعي للبلاد، وأنّ الديمقراطية المصرية قد سرقت من السيسي وفريقه¹⁴. ويرى الزعيم العمالي الجديد أنّ العلاقة بأميركا يجب أن تخرج من إطار التبعية، وأنّ المملكة المتحدة بعيدًا من سياسات أميركا وإملاءاتها ستكون أكثر أمنًا ممّا هي عليه¹⁵. وفي هذا السياق يلتقي كورين المتشككين من المحافظين في العلاقة بالاتحاد الأوروبي وحلف الناتو، داعيًا إلى إعادة النظر في تلك العلاقات بما ينسجم مع تصوراته حول عالم أكثر سلامًا وأقلّ انتهازيةً وانقيادًا للكبار¹⁶.

وثمة مواقف أخرى لم تفارق حركته عبر عقود، تمثلت بمواقفه من الصراع العربي الإسرائيلي؛ إذ احتل نضاله في هذا الإطار حيزًا كبيرًا لافتًا للنظر حتى غدا من أكثر الشخصيات استعدادًا للعمل من أجل فلسطين، وأكثرها انتقادًا لمواقف الحكومات البريطانية ووسائل الإعلام في التعامل مع الشأن الفلسطيني العام.

كورين والانتصار لفلسطين

صحيح أنّ من أعضاء البرلمان من يعمدون إلى تدوين يومياتهم، إلا أنّ كورين كان من القلائل الذين كتبوا فصول يومياتهم الممتدة عقودًا في الشارع، ومن بين الجماهير التي وقف في صدارتها من أجل مناصرة القضية الفلسطينية وغيرها من القضايا العادلة حول العالم. فهو منذ ما يزيد على الخمسة عشر عامًا يُعدّ أحد الرعاة الرئيسيين لحملة التضامن مع فلسطين المعروفة بـ "Palestine Solidarity Campaign (PSC)"، وهو عضو فاعل في لجنة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات المعروفة بـ "Boycott, Divestment

¹⁴ جبرمي كورين، بلا حدود، "أسعى لبريطانيا خالية من السلاح النووي"، قناة الجزيرة، 2015/8/6، انظر: <http://bit.ly/1Tkt92W>

¹⁵ "UK would be safer if it stopped following US foreign policy, says Jeremy Corbyn," *Middle East Eye*, 3/8/2015, at: <http://bit.ly/1mazio9>

¹⁶ Jeremy Corbyn, "Time for UK to cut free from US and NATO war policies," *Stop the War Coalition web*, at: <http://www.stopwar.org.uk/news/jeremy-corbyn-mp/iraq-crisis-shows-it-s-time-for-uk-to-cut-free-from-us-and-nato-war-policies-says-jeremy-corbyn-mp>

"and Sanctions"، وقد عمل عملاً دؤوباً على الترويج لمشاريع هذه المنظمات وللرسالة التي تشكلت من أجلها، ممثلةً بإحفاق حقوق الشعب الفلسطيني الواقع تحت الاحتلال¹⁷.

طالما شارك زعيم حزب العمال الجديد في دعم الأنشطة الداعية إلى عودة اللاجئين الفلسطينيين ورفض وعد بلفور الذي عدّه أحد الوعود الخاطئة والمخادعة والسيئة السمعة وممثلاً لازدواجية السياسة البريطانية ونفاقها في ما يتعلق بفلسطين، ووصفه بأنه أساس البلاء الذي ألمّ بالشعب الفلسطيني محملاً حكومة الانتداب البريطاني آنذاك مسؤوليةً تاريخيةً عن المأساة التي عصفت بالفلسطينيين ومازالت تعصف بهم¹⁸. وطالما شارك الزعيم الجديد في تظاهرات ضدّ الحرب على غزة، مطالباً برفع الحصار عنها وإطلاق سراح المعتقلين لدى إسرائيل ووقف انتهاكاتها لحقوق الإنسان. وهو يُعدّ، في هذا الصدد، من الداعمين بقوة لفرض العقوبات على إسرائيل وحظر تصدير السلاح إليها.

زار كورين فلسطين تسع مرات، وزار مخيمات الفلسطينيين في سورية ولبنان أيضاً، ومازال يُبدي استعداداه لزيارتها مرّةً أخرى؛ من أجل رفع صوته عالياً في وجه الاحتلال وسياساته الجائرة¹⁹. أمّا بشأن موقفه من حماس وحزب الله، فعلاوةً على اجتماعه إلى قادة تلك الفصائل، أعرب عن سعادته برؤيتهم يخاطبون الشعب البريطاني من منصة مجلس العموم البريطاني²⁰. وفي هذا السياق، اشتهر كورين بأنه "صديق الفلسطينيين" والعدو اللدود للوبي الصهيوني والسياسات الإسرائيلية.

¹⁷ "Together we can!," 18/9/2015, *Palestine Solidarity Campaign*, at: <http://www.palestinecampaign.org/together-we-can/>

¹⁸ "Sabra and Shatila: the hurt goes on," *Jeremy Corbyn*, 10/2/2011, at: <http://jeremycorbyn.org.uk/articles/sabra-and-shatila-the-hurt-goes-on;>

"How many more illegal acts will it take?," *Jeremy Corbyn*, at: <http://jeremycorbyn.org.uk/articles/how-many-more-illegal-acts-will-it-take/>

¹⁹ "Speech: Palestine," *Jeremy Corbyn*, at: <http://jeremycorbyn.org.uk/articles/speech-palestine/>

²⁰ Nick Gutteridge, "Labour leadership hopeful Jeremy Corbyn attacked for calling Hezbollah and Hamas 'friends'," *Express*, 29/6/2015, at: <http://www.express.co.uk/news/uk/587665/Labour-leadership-hopeful-Jeremy-Corbyn-attacked-calling-Hezbollah-Hamas-friends>

لاحقت تلك المواقف كورين إبان الحملة الانتخابية التي خاضها منافسًا على مقعد قيادة حزب العمال؛ إذ وُوجه بأسئلة ظنّ سائلوها أنها كفيّلة بوضعه في الزاوية، إلا أنّ المفاجأة كانت في عدم تتصلّله من أيّ ارتباط من ارتباطاته أو علاقاته أو مواقفه السابقة. وكانت إحدى مناظراته الانتخابية بدعوة من مجموعة أصدقاء إسرائيل في حزب العمال، وقد جرى تجهيزها بمجموعة من الأسئلة حيكت حياكةً دقيقةً حول القضية الفلسطينية والعلاقة بإسرائيل كما يتصورها المتنافسون في زعامة الحزب، في وقتٍ أبدى فيه المنافسون الثلاثة له في إجاباتهم صداقتهم المطلقة لإسرائيل، واستعدادهم لفعل كلّ ما هو ممكن لتوطيد علاقتهم بها، والنظر بإيجابية إلى وعد بلفور في ذكره المئة بعد عامين، ورفضهم مقاطعة إسرائيل أو فرض العقوبات عليها.

لقد كان موقف كورين المبدئي واضحًا في كلّ تلك المسائل بلا مواربة أو خجل، وهو ما عزّز صورته بوصفه صديقًا للمستضعفين ومكافحًا ضدّ أشكال العنصرية والاستعمار وانتهاك الحقوق²¹. وهكذا، فقد كان يحاول تقديم أفكاره على نحوٍ أكثر تفهّمًا من الآخرين، في حين باعت كلّ محاولات جرّه إلى الخلف في مواقفه وتصوراته إزاء فلسطين وما يتعلّق بالصراع العربي الإسرائيلي بالفشل.

مآتم سياسية في إثر انتخاب القيادة الجديدة

خلافًا لردّات الأفعال الشعبية في أوساط حزب العمال والجالية المسلمة والفلسطينيين المرحبة بفوز كورين، وُوجه فوزه بدهشة كبيرة وافتح للمآتم من معارضيه داخل الحزب وكتّاب الأعمدة في الإعلام اليميني البريطاني والإسرائيلي على حدّ سواء، فضلًا عن رئيس حكومة المحافظين البريطانية ديفيد كاميرون²². فبعضهم عدّ فوزه زلزالًا، وبعضهم

²¹ "Jeremy Corbyn: Jewish members of gov't imposed Balfour Declaration," 15/7/2015, at: <https://www.youtube.com/watch?v=eX0rqL0TGWM>

²² على سبيل المثال، انظر:

"Anti-Israel Jeremy Corbyn is new UK Labour leader," *The Times of Israel*, 12 Sep 2015, at: <http://www.timesofisrael.com/jeremy-corbyn-claims-victory-in-labour-leadership-race/>

عدّه انفجاراً بركانياً سيؤدّي إلى آثار بعيدة المدى في المشهد السياسي البريطاني، في حين رأى فيه بعضهم الآخر مشروعَ هزيمة أخرى أمام المحافظين، ولا سيما في انتخابات مجلس العموم المقبلة عام 2020²³.

وكان أكثر ردّات الأفعال لفتاً للانتباه ردّ رئيس الحكومة كاميرون الذي رأى في حزب العمل بعد هذا التطور خطراً على الأمن القومي البريطاني والأمن الاقتصادي فضلاً عن الأمن الشخصي للعائلات²⁴. وكانت ردّة فعل الفدرالية الصهيونية البريطانية من خلال إعلانها وفاة الصهيونية العمالية بانتخاب مثل هذه الزعامة على رأس الحزب²⁵. وإذا ما نظرنا إلى طبيعة العلاقة التي ربطت كورين بأعضاء حزبه، فضلاً عن الآخرين في البرلمان، أو ببعض القوى خارجه، وجدناها متّسمةً باللانسجامية، وربما بالتوتر في كثير من الأحيان. ومن ثمة، فإنّ خلفيات ردّات الأفعال غير المرحّبة، أو المتحفّظة، أو الراضة لهذه النتيجة تبدو مفهومة؛ إذ إنّ لكلّ أسبابه التي يرى في كورين نقيضاً لها، وهذا الأمر يجعل مهمّته لاحقاً معقّدةً على نحوٍ مثير.

محددات النجاح

من المهمّ فهم طبيعة الإدارة الديمقراطية التي يعمل وفقها الحزب حتى نفهم حدود ما يمكن فعله. فرئيس الحزب له أهمية معلومة في قيادة الحزب؛ إذ يشكّل واجهته ولسانه ومرشّحه بالضرورة لرئاسة الوزراء، إلا أنّ أيّاً من رؤساء الأحزاب لا يمكنه فرض أجندته وتصوّراته على حزبه ما لم تكن لديه الأغلبية داخله، وهذا ما أكّده كورين نفسه في خطابه لمؤتمر حزب العمال الذي عُقد مؤخراً²⁶. وبالنظر إلى أنّ كورين لم يكن بالعضو السهل مع

²³ "Labour leadership: 'Political earthquake' if Jeremy Corbyn wins," *BBC News*, 12/9/2015, at:

<http://www.bbc.co.uk/news/uk-politics-34231718>

²⁴ "Cameron: Corbyn's Labour 'A Security Threat'," *Sky News*, 13/9/2015, at:

<http://news.sky.com/story/1551708/cameron-corbyns-labour-a-security-threat>

²⁵ "Siege of Gaza must end, Jeremy Corbyn tells Labour Friends of Israel," *The Electronic Intifada*, 30/9/2015, at: <https://electronicintifada.net/blogs/asa-winstanley/siege-gaza-must-end-jeremy-corbyn-tells-labour-friends-israel>

²⁶ "Jeremy Corbyn's speech at Labour conference 2015: sketch," *The Telegraph*, 30/9/2015, at:

<http://bit.ly/1Sg0H3V>

أعضاء حزبه عبر خدمته في البرلمان على مدار عقود؛ ما أكسبه نفورًا ملموسًا جعله يعاني حتى في الحصول على التزكية اللازمة للترشح لهذا المنصب، فإنه ليس من المتوقع أن يسهل زملاؤه في الحزب مهمته، ولا سيما ما يتعلق منها بالإيفاء بوعوده التي تعهد بالعمل عليها في حال فوزه برئاسة الحزب.

فإذا مضى الأعضاء في التعامل معه على الطريقة التي تعامل هو معهم بها أو لجؤوا إلى التصويت حسماً للخلاف معه حول قضايا بعينها، فمن المؤكد أنه ستكون لذلك انعكاسات سلبية جسيمة على قدرته على النجاح. لذا، يمكن الجزم بأن أسهل مهمة في مسيرته رئيساً للحزب، هي فوزه بالرئاسة، في حين تنتظره الكثير من التحديات التي يجب عليه تجاوزها في طريقه للقمة. أمّا مقياس النجاح في المدى المنظور من وجهة النظر العربية والإسلامية، فهو في قدرته على التغيير أو التصدي للتغول الحكومي تجاه حقوق المسلمين في إطار ما يسمى بإستراتيجية مكافحة الإرهاب والراديكالية، ومواجهة الإسلاموفوبيا بقوانين صارمة، علاوةً على ما يمكن فعله في الموضوع الفلسطيني وسائر قضايا السياسة الخارجية. وفي هذا السياق، نستطيع رصد جملة من المحددات الضرورية للاستمرار في "قمة" القيادة، هي:

- قدرة الزعيم الجديد على بثّ الدفء في العلاقة الباردة التي جمعت بأعضاء حزبه الآخرين ممن يخالفون خطّه الصلب داخل الحزب؛ ذلك أنّ "الغيتو" الذي عاش فيه كورين مبدئيًا ومنسجمًا مع أيديولوجية الاشتراكية لا بدّ من تفكيكه من دون تنازلٍ عن جوهر موافقه، تمهيدًا لِمَ شمل الحزب الذي يفترق عليه. وكما هو معلوم، فإنّ جملة من وزراء الظل في حزبه؛ من الذين كانوا على رأس الخدمة ظهيرةً فوزه، أعلنوا استقالاتهم ورفضهم العمل تحت قيادته الجديدة، وهو ما يراكم، بالنسبة إليه، مهمة العمل على تظمينهم مع زملائهم؛ من أجل ضمانهم إلى جانبه.
- قدرته على تجسير الفجوة بين المبادئ التي يحملها ويدافع عنها والسياسة البراغماتية التي سار عليها الحزب إلى ذلك الوقت من دون انحراف. فصحيح أنّ مبدئيته رفعت من صدقيته، ومن درجة الوثوق بأخلاقيته السياسية، إلا أنّ إنزال المبادئ على الأرض، بالنسبة إليه، في حاجة إلى أغلبية تقف إلى جانبه داخل الحزب. فإذا افتقد هذه الأغلبية على صعيد الإصلاح في السياسات الداخلية أو الخارجية، فلن يكون بمقدوره - ديمقراطيًا - المضيّ قُدّمًا في تطبيق أهدافه وطموحاته، وسيصطدم بصخرة الواقع

الثقل. ومن الملاحظ أنّ كوربن قد بدأ السير في هذا الاتجاه؛ إذ تعهّد لوزراء الدفاع في حكومة الظل في حزبه بأنّه لن يقدم على تغيير سياسة الحزب تجاه أحد المفاعلات النووية Trident التي تنوي الحكومة الحالية زيادة الإنفاق عليه بمئات الملايين، كما أنه فعل الشيء نفسه بتأكيد عدم تغيير سياسة الحزب تجاه حلف الناتو أيضاً، وهذا الأمر عدّه بعضهم بداية تراجع عن مواقفه المتشددة²⁷.

- النجاح في قيادة الحزب عبر المحطات الانتخابية المقبلة في إسكتلندا، وويلز، وبلدية لندن، وبريستول، وغيرها. فإذا قاد كوربن نجاحات في تلك المواقع، فسيُعزّز موقعه داخل الحزب بوصفه سيوّدي إلى نجاحات ستظل تتراكم حتى انتخابات عام 2020. وأمّا إخفاقه، فهو ما ينتظره صقور العمل ممّن بدؤوا يحفرون له قبره السياسي منذ لحظة فوزه. وإنّ ما يمنعهم من المسّ بتلك النجاحات حزبيّاً وسياسيّاً وما سيمنعهم على المدى القريب من ذلك هو الفوز المميّز الذي جاء به، وهو ما يجعلهم في صدام مع عموم قاعدة العمال إنّ قرروا ذلك، وهو أمرٌ ليس سهلاً. أمّا في حال تراكم الإخفاق في المحطات الانتخابية المقبلة، فستتقضّ عليه الصقور الجارحة حتى تطمئن إلى قتله سياسيّاً بلا رحمة.
- التدرج في الإصلاح. فإذا ما ذهب كوربن إلى ما وعد به محاولاً صوغه في شكل تشريعات وقرارات، ومن ثمة إلى وعوده كلّها جملةً واحدةً، فربما ينتهي به المطاف إلى الإخفاق؛ لأنه لن يجد أعضاء الحزب إلى جانبه في معارك من هذا القبيل، وهذا الأمر يحتمّ عليه قراءة المشهد المحيط على نحوٍ ثاقب حتى لا يقع في شرك أعماله.
- أخذ العبرة ممّا حصل مع نظيره ميليباند في الانتخابات الأخيرة حين فتح نيرانه السياسية على الكثير من الجبهات في آنٍ واحدٍ، وهو ما جعل الجميع يعمدون إلى مكاسرته. لذا، ينبغي ألاّ يفتح معاركه مع الشركات الكبرى، والأغنياء، ووسائل الإعلام، ومجلس العموم، والنظام الملكي، والمحافظين، وأميركا وإسرائيل، والاتحاد الأوروبي، والناتو، والزعامات الشرق أوسطية الرجعية، وغيرها من القوى، مرةً واحدةً بظهور غير محميٍّ من حكومة أو أغلبية داخل الحزب وخارجه. فمنازلة هذه القوى في آنٍ واحدٍ ستكسر ظهره، وستدفع

²⁷ Ben Riley-Smith & Kate McCann, "Labour MPs agree to serve Jeremy Corbyn after being told party won't back scrapping Trident," *The Telegraph*, 18/9/2015, at: <http://bit.ly/1Miewe4>

- به إلى المقاعد الخلفية مرّةً أخرى؛ إذ ستفضي بالنواب الآخرين من حزبه إلى التمرد وإخضاعه للتصويت. ومن ثمّة، لا بدّ له من وضع أولويات في المواجهة تجنبه خوض معارك من دون ذخيرة كافية.
- القدرة على تجبيش الشارع في خدمة مواقفه داخل كتلته البرلمانية. فإذا تمكّن الزعيم الجديد من الإبقاء على العلاقة بالشارع، وتجييشه، وتسخيره وراء مطالب محدّدة، فسيظل محميًا من نيران الأصدقاء تحت قبة البرلمان. أمّا في حال إغفال أهمية الشارع أو غفلة الشارع عن الوقوف إلى جانبه، فهو سيتعرض للانكشاف، ومن ثمّة إلى إمكان الإخفاق في إنفاذ أيّ رؤية من رؤاه الجوهرية التي تعهد بالمضيّ فيها قُدّمًا.
 - الرشاقة في القفز عن الأشرار والألغام التي يزرعها مناوئوه في طريقه بين الحين والآخر داخل الحزب وخارجه، وقدرته على التألّق في مواجهة تلك الأشرار والردّ عليها كما يجب. فتعثر الزعيم الجديد وعدم ارتقائه إلى مستوى التحدي الشخصي والزعاماتي أمام الآخرين، ولا سيما رئيس حكومة المحافظين، يُهدّد بزوال بريقه الذي صاحبه عند انتخابه، ويجعل قدرته على إقناع الشارع أو حتى تمثيله ضعيفةً.

الفرصة أو الانقلاب؟

ليس من المحتمل أن يكون هناك انقلاب في حقّ كورين على الطريقة المصرية عام 2013، إلّا أن حدّة الاستهداف الموجهة نحوه من الخصوم ستكون كبيرةً من دون شكّ. وحين يُمنح وقتًا كي يعبر عن نفسه بوصفه قائدًا للحزب، يترى به الكثيرون انتظارًا لأخطاء يمكنه الوقوع فيها حتى تجري عملية الانقلاب "الديمقراطية" عليه من خلال أعضاء الحزب في البرلمان. وعلى الرغم من الانعكاسات السلبية التي ستلحق بالحزب، في حال الإقدام على ذلك مع ما يرافقه من تصادم مع قاعدة كورين العريضة واستهلاك الحزب مرّةً أخرى في انتخابات زعامة جديدة، فإنّ الجناح اليميني المتطرف داخل الحزب سوف يكون على استعداد للمجازفة بكلّ ذلك مقابل التخلص من الكورينية Corbynism التي يعدّها خطرًا على المجتمع والدولة والحزب.

لذا، فإنّ الوصول إلى هذه اللحظة يعتمد نسبيًا على طبيعة الأداء الذي سيقدمه كورين من جانب، وعلى مدى قدرة الأطراف المناهضة على تشويه صورته وتحميله أوزار أخطاء قد تكون من صنعه أو من صنع الأوضاع الموضوعية المحيطة، أو نجاحهم في تصويره معدومًا للأهلية وعنوانًا للإخفاق في الانتخابات العامة المزمع

عقدها عام 2020 كرئيس مرشح للوزراء. وإذا استطاع كورين تخطي الأشرار التي ستُنصب في طريقه وفوت الفرصة على المترشحين به، فإنه من المرجح أن يكمل فترته من دون تطورات مثيرة. أما في حال وقوعه فريسة المتصيدين و"الانقلابيين" المتخفين حالياً، فستكثر السكاكين التي سيُطعن بها منبئةً بنهاية عهدٍ لم يُكتب له الاكتمال.

انعكاسات فوز كورين على القضية الفلسطينية

نُجمل هذه الانعكاسات في ما يلي:

- من المرجح أن يدفع فوزه في رئاسة المعارضة بالقضية الفلسطينية إلى الواجهة السياسية في بريطانيا على نحو لافت. ويشمل ذلك موضوع الأسرى، واللاجئين، وحصار غزة، والقدس، والمستوطنات، وحتى محاولة تسويق الحوار مع حركة حماس، إضافةً إلى توسع دائرة الصداقة لفلسطين داخل مجلس العموم وخارجه.
- التضييق النسبي، سياسياً، على سياسات إسرائيل التوسعية والتهويدية والتلويح بالعقوبات، وسيلةً لحملها على التسليم بالحقوق الفلسطينية المشروعة ومواجهة ضغوط اللوبي الصهيوني في هذا الشأن.
- يُعدّ وجوده حافزاً للحكومة البريطانية على رفع مستوى التدخل لدى الإسرائيليين والحكومة المصرية؛ من أجل رفع حدة الحصار المُحكم على غزة أو تخفيفه.
- حشر جناح "بلير- براون" في الزاوية والحدّ من تأثير اللوبي الصهيوني داخل الحزب - نسبياً - في المدى المنظور؛ إذ سيكون ذلك موائماً طردياً لقدرته على تحقيق إنجازات واختراقات في المشهد السياسي المحيط.
- من الممكن أن يتقدم بخطوات "رمزية" حتى من مقعد المعارضة؛ كالاعتذار عن الألم الذي ألحق بالشعب الفلسطيني من جرّاء الانتداب البريطاني، وربما وعد بلفور، مع الدعوة إلى إعادة الحقوق إلى أصحابها على قاعدة دولتين لشعبيين. وفي هذه الحال، من المرجح أن يتمّ ذلك في الذكرى المئوية الأولى لوعد بلفور عام 2017، ولا سيما في ظلّ وجود عريضة يجري العمل على تجميع مليون توقيع لها حتى ذلك الوقت، مع مطالبة بريطانيا بالاعتذار.

خلاصة

يُشكّل انتخاب كورين رئيسًا لحزب العمال، في أحد جوانبه، انتصارًا لفلسطين وأنصارها، وهزيمةً للوبي الصهيوني اليميني داخل الحزب وخارجه. فقد حرّك المياه الراكدة في مستنقع السياسة البريطانية، فضلًا عن تحوُّله إلى مُلهم للكثير من الشبان الذين انضموا بعشرات الآلاف تحت قيادته إلى حزب العمال، أملين التغيير المنشود على الصُّعد كلها²⁸.

ولا شكّ في أنّ فوز هذا الزعيم بخلفيته الأيديولوجية وقناعاته المبدئية كان استفزازًا لمناوئيه في حزب العمال الذين يشكّلون في البرلمان أغلبيةً قد تصطدم معه يومًا ما. فالطريق أمامه طويلة وشاقة وملعّمة أمام تمكّنه من تحويل الآمال والطموحات التي أكثر منها أثناء دعايته الانتخابية إلى حقائق ووقائع، على أنّ أداة إخفاقه الرئيسة ستكون، في أغلب الاحتمالات، من داخل حزبه في البرلمان. فإذا ما نجح في مدّ جسوره مع زملائه وكسبهم في معركته إزاء المستقبل فسيستمرّ. أمّا في حال إخفاقه في إدارة علاقاته الداخلية والخارجية، فسوف تكون النهاية بالنسبة إليه حتميةً؛ عبر انقلاب "ديمقراطي" أبيض يجري التحضير له على نار هادئة في أروقة البرلمان نفسه. وكيفما كانت حصيلة معركته على القيادة، فإنّ الرواية الفلسطينية للصراع ستحظى بانتعاش غير مسبوق رسميًا وشعبيًا على حساب الرواية الصهيونية.

²⁸ "With hundreds of thousands of new supporters, Labour is on the verge of something big – what a complete disaster!," *Independent*, 14/8/2015, at: <http://ind.pn/1OeqcAZ>